Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد العاشر – أيلول – 2024 / September –

تداوليّة الرسومات الثوريّة في شعارات ناجي العلي (لسانيّات خطابيّة للطبقات الشعبيّة)

د. محمد خليل حمادي [1]

[1] أستاذ في اللغة العربيّة وآدابها في الجامعة اللبنانيّة (مكتب اللغات)- كلّيّة الإعلام+ كلّيّة التربية.منسّق في مكتب تنسيق تدريس اللغات الجامعة اللبنانيّة- شؤون اللغة العربيّة ومناهجها - لبنان

ملخص. منذ انطلاقة التداوليّة وهي تعتمد على مبدأ كسر الحدود، وإزالة العراقيل بين التخصّصات الإنسانيّة كافّة، ومن هذا المنطلق، وجد هذا البحث متنفّسه كي يمضي في مقاربة ناجي العلي، الرسّام الكاريكاتوريّ، تداوليًّا، أي استنطاق اللغة المكنونة لديه، من خلال ترسيماته، وإعادة إنتاجها خطابًا تأثيريًّا في الشعوب المتلقّية. لقد استشرفنا في أعمال ناجي العلي نوعًا من الخطاب الشعبيّ، أي الذي يأخذ مشروعيّته وامتداده من الطبقات الشعبيّة، فهل هذا يعني قطيعة تامّة مع الأنظمة؟ أو توجيه أسهم النقد والخذلان؟ وأي دور للتداوليّة وأيّ موقف للخطاب في رحاب هذا الوضع؟ لقد كانت دراسة تجديديّة في مسار التداوليّة واللسانيّات الخطابيّة.

Abstract. Depuis ses débuts, la pragmatique s'appuie sur le principe de briser les frontières et d'éliminer les obstacles entre toutes les spécialisations humaines. De ce point de vue, cette recherche a trouvé un débouché pour poursuivre la démarche du caricaturiste Naji Al-Ali, de manière pragmatique, c'est-à-dire en interrogeant son langage caché, à travers ses dessins, et le reproduire dans un discours influent sur les peuples destinataires. On a vu dans les œuvres de Naji Al-Ali un discours populaire, c'est-à-dire qui tire sa légitimité et son extension des classes populaires : cela signifie-t-il une rupture totale

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

avec les régimes ? Ou diriger des parts de critiques et de déceptions ? Quel rôle joue la pragmatique et quelle place occupe le discours dans cette situation ? Il s'agissait d'une étude innovante dans la voie de la pragmatique et de la linguistique rhétorique.

تمهيد

لم ينطفئ أثر "ناجي العلي"، وهو الذي قد تجاوز عمر اغتياله ستة وثلاثين عامًا، ولكنّه لا يزال ذلك الطفل المُعْدَم الفقير الذي يرنو نحو أفق بعيد، مديرًا ظهره إلينا إلى المرحلة والأنظمة والجلّادين والأعادي. هكذا هو (حنظلة) ذلك الفتى الشائك شكلًا ومضمونًا، فهو يتعرّض إلى الأشواك، وكذلك يخزنا فيوخزنا ويرمي فينا الإبر علّه يحرّك شيئًا في الضمير النائم فتحاكي لغته التداوليّة وخطابه الشعبيّ الشائك هذا أوجاع شعبه المتشرّد وأمّته المعذَّبَة وقضيّته الساقطة طيّ النسيان والكتمان، ذلك لأنّ الوجدان قد ضاق عن احتمالها، فأُلقِيَ الخطاب جانبًا، أُلقِيَ متعَبًا إلى جانب الطفلة (وفاطمة) المرأة الصابرة، والرجل القتيل المضرَّج بالدم والحديد والنار.

ومن هذه العتبة التي ندخل فيها إلى هامشنا الموضوعيّ أو البحثيّ في البحث ترتبط فكرتنا ومشاركتنا هذه بناجي العلي ومقاربته تداوليًّا وخطابيًّا. لقد تجاوزت رسومات ناجي العلي الحدود الضيّقة للمباحث التي تنشد العلوم الإنسانيّة، تجاوزت حدود الفكرة، فالرجل رجل أمّة وثورة وشعب، وتداوليّته الخطابيّة ولسانيّته اللغويّة إنّما مستلّة من أعماق الاستعمال اليوميّ للناس، فيتعلّق بحثنا بموضوع المرحلة لأنّه يُمَظهِر لغة الشعارات، ويُبَلْوِر خطابات الناس اليوميّة ولكن بآلة الورق ووسيلة القلم الرصاصيّ الأبيض والأسود ليس إلّا، فلغة الثورة تتّقد في رسوماته كي تشبّ جمرًا، هي لغة النقد العالي والتأثير الأعلى، لغة الحرّيّة وخطاب الديمقراطيّات، وهو الحفاظ على الثورة بإعادة إنتاجها وتجْلِيَتها على الدوام وعلى الرغم من كلّ شيء.

تَمُتّ هذه الورقة البحثيّة بصلة مباشرة ورئيسة في موضوع البحث التداوليّ الحديث، إذ بها تقارب أعمال ناجي العلي ومنتجاته الفنّيّة من باب التداوليّة أو البراجماتيّة، وهي تلك التي تجعل التواصل عملًا لغويًّا وكلاميًّا فنّيًّا يُهَنْدِس التواصل الوصفيّ في حينه بين البشر أو الجماعات المتواضِعَة عليه في الاستعمال، ثمّ يُصَيّره خطابًا لسانيًّا بعد أن يحرّره من آلة الورق أو الفضاء المُقَيَّد ذي القيود والسلاسل الإنتاجيّة الجافّة، ويجعله متداولًا ومنطلقًا، بتشظّيه بين الناس والمتلقّين، كي يوصل مرسَلَته فتحوّله

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

شيفرة أو رموزًا يتعاون الناس بأفعالهم اللغويّة التفاعليّة للتطبيق والحوار والمحاكاة وتشكيل الوعي المعرفيّ اللازم.

من المهمّ للمجالات البحثيّة والمعرفيّة الإنسانيّة تناوُل ناجي العلي وأثره الخطابيّ المكنون في رسوماته بصورة تداوليّة، وعلى نسق النظريّة الخطابيّة اللسانيّة الحديثة. ولا جرم أنّ ناجي العلي الثوريّ قد قدّم مدوّنة ضخمة وديمقراطيّة كانت تصدح بالمعارضة، ومخالفة القطيع، أو الرأي السائد، والأهم من ذلك أنّه حاول أن يكون صوت الناس الرافضين، ولكنّهم، لغياب العمليّة الديمقراطيّة السليمة في المشرق العربيّ، وبسبب هيمنة الأنظمة، أو النظام الحاكم، قد تلاشى خطابهم ولم يؤخَذ به، ولم يحصل أنّ أحدًا قد التفت إلى صوت السواد الأعظم من الناس، وبالتالي كانت الأفعال اللغويّة التي تؤهّل لها رسوماته، والتداوليّة الاستعماليّة للسان حال الناس، كانت جميعًا ممنوعة، فأراد ناجي أن يُسْهِمَ في إعادة إظهارها أو إحيائها كي تثير ضجيجًا، وتكون أقوى من كتمها أو تغييبها وبعثرتها بين الندوات، والمجالس الفارهة، والكلام الذي لا يُثمن ولا يُغني من جوع.

لقد انطلق ناجي من لازمة نشر الوعي الثوريّ والتدليل على موقفيّته أو قصديّته في خطابه الرسوميّ هذا، وقد أفلح وأصاب في جعله تداوليًّا، من حيث أنّ الناس قد تلقّفته وآمنت به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه قد أزعج أهل القرار، وأرغمهم على الانتباه إلى أنّ تداوليّة الناس أكبر منهم، وأنّ خطابهم أعمق وأعلى من نصوصهم المقيّدة، وبالتالي فإنّ لغة الشعب وصوته هي اللغة العُليا في المستويات الخطابيّة.

أهداف البحث

تتبلور أبرز النقاط التي يهدف البحث إلى إثباتها في الآتي:

1- رسومات ناجي العلي تداوليّة بامتياز، وذلك من خلال استعماليّتها وتداوليّتها المستمرّة، فعلى الرغم من تفجيره واغتياله ظلّ أثره متداولًا.

2- تستحثّ شعارات ناجي العلي على الثورة وتطالب بها، وتجعلها نصب عيْنيها، فيقدّم خطابًا منهجيًّا ثوريًّا يتلقّفه الناس ويؤمنون به، وينجح في أن يكون بمستوى علويّ أمام تسفّل لغة خطاب الآخرين، وقد أجمع الشعب على تأييد هذه اللغة الخطابيّة، بينما تجنّبها الزعماء والحكّام وحاربوها.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

3-إنّ التداوليّة لا تُحَدّ بحدود المُنتَج اللغويّ، بل هي منتَج سيميائيّ تواصليّ يؤمن بأنّ كلّ أشكال اللغة عرضة للتواصل من خلالها، شريطة أن تتضمّن أطراف التراسل الطبيعيّ في المدوّنة.

4-يتحوّل نصّ ناجي العلي المرسوم، أي من خلال رسمة أو شعار، إلى عنصر فاعل اشتغاليّ في الأوساط المتلقّية، فتتبنّاه الشعوب وتطبّقه، ذلك إذا لم تكن قد طبّقَتْه بالأصل، وهذا ما يشي بأنّ ناجي انطلق من أرضيّة الناس، فنقل لغتها بآلة الرسم، أو صوّر راسمًا ما يبتغيه من الشعوب ووعيها الثوريّ.

الإشكاليّة والفرضيّات:

إنّ الإشكاليّة مطلب أساسيّ من متطلّبات المباحث، وإن كانت قصيرة ومُيَسَّرة، ومن الممكن وسم إشكاليّة هذا المبحث بالآتي:

إلى أيّ مدى تمكّن ناجي العلي من أن يكون تداوليًّا من خلال رسوماته؟ وما أبرز المناحي الخطابيّة والمعايير النصّيّة اللغويّة التي تحرّكها وتحرّرها شعاراته الفنّيّة؟ وكيف نجحت آلة ناجي العلي الفنّيّة-الثقافيّة في ابتكار لغة مموّهة خطابيّة أثّرت في المتلقّي وتوجّهاته الثوريّة ووعيه نحو قضيّته؟

وتكون هذه الفرضيّات لتجيب عن تساؤلات الإشكاليّة كالآتي:

- إنّ رسومات ناجي العلي تحتوي القيمة التداوليّة، بدليل بقائها حيّة على الرغم من اغتياله.
- من خلال الإشاريّات والانسجاميّات اللغويّة التي تتيحها الرسومات والشعارات؛ ينجح ناجي العلي في استلال لغة تواصليّة مع القواعد الجماهيريّة باسم المنتَج الفنّيّ.
- يطمح ناجي العلي أن يكون مؤثّرًا في متلقّيه، وقد غيّر كثيرًا من التوجّهات الثوريّة، وكشف الحقائق باسم الحرّية أمام الناس، فأعاد تكوين الوعي الثوريّ لديهم، وقدّم نقدًا ديمقراطيًّا ضدّ الظلم واستعباد الشعوب ومصادرة قرارها وارتهان المصير.

أمّا منهج البحث، فهو المنهج التداوليّ بإجراءاته وآليّاته التواصليّة، والكاشفة عن أبرز ما حملته رسومات ناجي العلي من قيم ثقافيّة، ورموز أدبيّة، كان له أثر في متلقّيها.

أوّلًا: القسم النظريّ: التداوليّة وخطاب الفنون الشعبيّة التواصليّ

في هذا المهاد النظريّ نسعى إلى إبانة أبرز الجوانب التي تربط الموضوع بأصله البحثيّ، ذلك لأنّ هذا الأمر مهمّ بالنسبة إلى تحديد مسارات التطبيق لاحقًا، ومن هذا المنطلق انتخبنا عنوانًا لهذا البحث، يقوم هذا العنوان بحصر المسائل وتوضيبها، وتأمين التآلف اللازم فيما بينها، وصولًا إلى الغاية البحثيّة

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

المننشودة، وهي تشابك الموضوعات الثلاثة: التداوليّة، والتواصليّة الخطابيّة، والفنون الشعبيّة وأساليب تلقّيها، بما يخدم الحالة التي تشكّلها.

ليس خافيًا أنّ البحث ينهض بالمفاهيم اللسانيّة الحديثة الطاغية على الساحة البحثيّة في هذه الأيام، وهذا ما يجعل من المبدأ التواصليّ، ومسألة خلق الأثر اللازم، أو المروم والمنشود، في الجماهير، هو أساس هذا العمل البحثيّ. ما يدعم هذه الفكرة أنّ العناصر الثلاثة المنشودة في البحث تقوم على مبدأ الاتّصال. فالتداوليّة من العلوم التي تقول بمبدأ التواصل؛ بل إنّها بالأصل كانت وليدة فلسفة التواصل، وإحداث الفعل اللغويّ بين البشر، إذ تقدّم التداوليّة درسًا مفصّلًا للسائد الاجتماعيّ، وكيفيّة إحداث هذا السائد الاجتماعيّة فروقات معيّنة تخدم الحالة الإعلانيّة من خلال اللغة، أن نعلن عن أفكار تواصليّة بواسطة اللغة، حيث تكون هذه الأفكار قابلة للنقاش وإثارة اهتمام المجتمع التداوليّ... وفي مقلب آخر تعدّ التداوليّة تنظيمًا من تنظيمات اللغة العديدة، ويقوم هذا التنظيم بتحديد أطر إلقاء القول وتلقّفه، وذلك بناء على أغراضه وأفكاره التي يحملها؛ لأنّ المرسلة اللغويّة كيان من الأفكار، وفلسفة الفعل اللغويّ تقوم بتحديد كيفيّة طرح هذه الأفكار، بناء على الهدف المنشود في عمليّة الإدلاء القوليّ.

في المقلب الآخر؛ تبدو النظريّة الخطابيّة، أو فلنقل المدرسة الخطابيّة في المقاربة اللغويّة، تقوم هذه المدرسة على أساس تحويليّ، ولكن بالاتكال على المعلم التواصليّ إذ إنّ اللغة تتحوّل من الإطار النصّيّ الضيّق، حبيس الورق، أو المشافهة السماعيّة، إلى فضاء التواصل الرحب، بمعنى تحويل اللغة أعرافًا تواصليّة من لدن الناس الذين يتداولون بها، ومن خلالها، وبطبيعة الحال، فإنّ هذا التواصل لا يأتي جزافًا؛ بل هو محتاج إلى منتجات القول اللغويّ، أي إلى لغة تُنتَج بهدف إحداث قصديّة يتلقّفها التقبّل، أو مقبوليّة المتلقّي، فتستحيل الأمور فضاء تواصليًّا مؤثّرًا لإنجاز اتّصال من خلال اللغة، بالزيادة والتأييد، أو النقض وإحداث الاختلاف أو إبانته.

الطرف التواصليّ الثالث المنشود في هذا البحث هو الفنّ الشعبيّ، والمقصود بالفنّ الشعبيّ أنّه ذلك الفنّ الذي يقوم على الانطلاق من بيئة شعبيّة مجتمعيّة، وهو الذي يكون بمتناول الناس أجمعين، أو على الأقل أكبر شريحة مجتمعيّة ممكنة قد تتلقّفه، فلنسمّه الفنّ المستساغ الشائع– الديمقراطيّ، الذي يبدو طيّعًا أمام الناس، يتلقّفه الساري والغادي، إذ نجده في وسائل غير مكلفة في الأصل، يبدو على جادّة طريق، أو يكون عبر وسيلة تجتذب الناس، بمعنى أنّهم غير ملزمين بالبحث عنها أو طلبها، وقد لا يعوزه حتّى الإعلان عن هذا المنتَج، بغرض التجارة أو الربح أو العرض الكلاسيكيّ المعهود في اللوحات والأغاني والموسيقى والمنحوتات وما خلاها... أمّا الفنّ الشعبيّ المنشود في هذا البحث، وهو

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ما قدّمه "ناجي العلي"، فكان رسمًا كاريكاتوريًّا عرفه الناس من خلال الجرائد اليوميّة والصحف التي احتضنت إنتاج هذا الرجل.

هذه أبرز المعالم التي سنتناولها في هذا لمهاد النظريّ، على أنّ العرض سيكون ميسّرًا ومتخصّصًا فيما هو معنيّ بالبحث، والتطبيق لاحقًا، أي نحاول رفد ما يخدم البحث من خلال التداوليّة وفلسفتها التواصليّة، والخطاب ومعالمه وفنونه، علاوة على ناجي العلي وقصديّاته في فنّه الشعبيّ.

نحاول في هذا الحيّز البحثيّ استدراج أكثر الأمور ارتباطًا بالهدف البحثيّ، وعلى هذا الأساس كان واضحًا أنّ العلماء الذين عملوا على تطوير أجهزة التداوليّة التحليليّة، كانوا قد وضعوا نصب أعينهم الطاقة الهائلة التي تؤمنها التداوليّة في تجاوز حدود اللغة التقريريّة، أو العلميّة المغلقة، في محاولة للوصول نحو دراسة الحالات اللغويّة الإنسانيّة المطلقة برمّتها، وذلك بهدف الكشف عن الإمكانات التواصليّة التأثيريّة التي تحملها. وشهدت التداوليّة أكثر من تعديل فرضته حركة تطوّر العلوم ونموّ المعارف التي ترافقت ونهاية القرن العشرين، على أن يُفتَتَح بها العمل اللغويّ في القرن الواحد والعشرين، ونقف على آراء تُثبت هذه التعديلات، بغرض ربطها بالمسألة التواصليّة الشعبيّة المرومة.

قامت إحدى التطويرات على ابتكار رؤية تنمويّة للشأن اللغويّ، وهي تلك الرؤية التي تحددت في مصطلح "الإشاريّة اللغويّة التداوليّة– *deixis*"، بحسبان أنّ اللغة كالإشارة التي يلتقطها المتلقّي، بعد أن يبثّها المرسِل على شكل تواصليّ، بغضّ النظر عن طبيعة اللغة المُقَدّمة، أكانت بالكلام والتلفّظ اللغويّ، كالكلمات والجمل، أم كانت على نسق ملمح يتمظهر في ثنايا الخطاب، كالرسمة أو الصوت أو الموسيقى؛ "تعتمد هذه الصيغة في تفسيرها على المتكلّم والسامع اللذيْن يشتركان في سياق واحد، واللذيْن يعرفان تبعًا لذلك ما المقصود بالتفوّه الذي يرد في تحاورهما." (الماشطة، 2018: 50) مسلّمة السياق من أهمّ المسلّمات التي يستوجب المقام التداوليّ مراعاتها خلال الخوض في العمل التواصليّ اللغويّ، ويحتمل السياق أن يكون القناة الاتصاليّة العامّة التي على نسقها يرد موضوع التداول، ويشترط نوعًا من الثقافة المشتركة في ثنايا القول، وكذا كان لناجي العلي هذه المساحة المشتركة مع المتلقّي، فينسج سياقه من الناس، فتارة يكون حنظلة، وتارة أخرى يكون الحكّام، إذ يرمز إليهم برموز محدّدة... وصولًا إلى الموضوعات والأفكار التي تشكّل قضايا الهمّ المشترك مع المتلقّي.

وفي سياق متّصل مع هذا التطوير التداوليّ، نتلقّف إشارات أخرى تدعم المقام التواصليّ بما يكفل شيوعه ليتصدّر حالات التواصل كافّة، ومن ميزة هذا المعلم الإشاريّ أنّه يتيح ترجمة تقريبيّة للمكان، أي تجعل المعاني البعيدة من الواقع مستساغة وقريبة، نفسيًّا، من متلقيها، وإنْ كان بعيدًا منها فعليًّا؛ "

ذلك أنّ المتكلّم يميل إلى معاملة الأشياء القريبة مادّيًّا قريبة نفسيًّا، وإلى معاملة الأشياء البعيدة مادّيًّا بعيدة نفسيًّا." (الماشطة، 2018: 53) لعلّ هذا الأمر يتجلّى بوضوح في لغة ناجي العلي البادية في ترسيماته، وهو ما سيضَح في خضمّ العمل التحليليّ عند التطبيق.

تقوم الثقافة التداوليّة بشكل أساسيّ على محاولة توليد نواة التحادث من الحدث الكلاميّ، وهذه مهمّة يتواضع على تنفيذها عناصر العمليّة الاتّصاليّة. تتّسم هذه العمليّة بالمحادثة، ومنها ما يمكن وسمه بالمحاكاة، في حالة بحثنا هذا، إذ عمد "ناجي العلي" إلى مخاطبة الناس بشكل غير مباشر، من وراء الرسومات الكاريكاتوريّة، وهي منتشرة في فضاء تواصليّ رحب، قد تمظهر من خلال الجرائد التي نشرت هذه الأعمال، على أن تؤسّس إلى حوار مع الناس، ولكنّه غير مباشر. المحادثة تحصل إذًا بين المتلقّي و"العلي" بوساطة الرسم الكاريكاتوريّ، وفي هذه المرحلة تتدخّل علوم السيمياء والدلالة في مظهرة المعاني وتوليد ردود الفعل المناسبة؛ لأنّ الخطاب غير مباشر في هذا المقام، أو هذا الشكل الأدبيّ– الفنّيّ في آن. يسمح هذا الوضع التداوليّ بتوليد نواة تناوبيّة على مستوى المحادثات؛ لأنّ الأمر يتّخذ شكلًا من أشكال التأثّر وردود الفعل أمام الحالة التواصليّة المتمثّلة في هذا الشكل الفنّيّ، على أن تكون الأرضيّة مشتركة بين الأطراف المتناوبة في محادثتها فهم "يشتركون في محادثة على أنّهم يتبادلون الأدوار في الاستيلاء على الأرضيّة؛ يتبادلون الأدوار بسلاسة لأنّهم مدركون بنظام الإدارة المحلّيّ لأخذ هذه الأدوار في محل مناسب لانتقال الصلة" (يول، 2010: 113). هذا النظام الإدرايّ يتحدّد بمدى مقدرة الأطراف على التمكّن من القضايا المطروحة في رحاب التواصل، فكلّما كان المستقبِل عليمًا بما يُدلى أمامه من قضايا أصبح أكثر مقدرة على المشاركة، ومحاولة انتزاع القطب التواصليّ– التداوليّ لصالحه، وبالتالي يثبت أنّه صاحب رأي أو موقف، أو على الأقل لديه الدراية المطلقة التي تتيح له استثمار أكبر قدر من الحيّز التواصليّ– موضوع التداول. تستحثّ التداوليّة الأطراف المتخاطبة على الهيمنة على الخطاب المطروح، لأنّه خطاب المرحلة، وقضيّته قضيّة نفعيّة في التواصل، فقد لا تكون القضيّة نفعيّة بالمعنى الماديّ للأمور، ذلك ليس مطلوبًا في دراسة الحالة التداوليّة؛ بل المطلوب قياس كمّ التلفّظات التي تستقطبها الحالة التداوليّة بين الأطراف، ومدى توسّع رقعتها التحاوريّة بين الأطراف لتشكّل حالة وازنة تستقطب الأفعال وردود الأفعال. وكثيرًا ما تكون القضيّة المخالِفة أو المعاكِسة للسائد، أو التيّار، جذّابةً لتحتلّ الساحة الحواريّة وتفرض نفسها بحكم اختلافها، فإمّا أن تكون مستفزّة إذا ما تمرّدت على المعهود، وإمّا أن تكون حماسيّة تتوافق والقيم التي تقدّسها الناس، فتنتشر وتغدو كالشعار المعدّل لقيمة متجدّدة، وقد استساغتها الناس وتقبلها الشارع التداوليّ.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

قد يتمحور العمل التداوليّ الاتّصاليّ على تنازع الأرضيّة التفاعليّة بين الأطراف، وهذا يُرَدّ إلى ثقل القضيّة موضوع التداول، فكلّما كانت هذه القضيّة مؤثّرة وتحصل فيها تجاذبات، كان السعي إلى انتزاع السبق فيها أولى. نحن نتحدّث عن قضيّة عميقة في وجدان مواطنيها، ثمّ وجدان الشعب العربيّ برمّته، وكذا بالنسبة إلى الرأي العالميّ العامّ، وهي القضيّة الفلسطينيّة؛ لأنّ "ناجي العلي" كان له رأي خاصّ متمايز حيالها، وسنعرض في أقسام لاحقة لرحلة هذا الفنّان الكاريكاتوريّ الشعبيّ مع قضيّته... وحاله كحال أيّ فنّان يحمل رسالة بعناوين سياسيّة، كان يطمح إلى إحداث الفرق الذي بموجبه يصبح قادرًا على إحداث الفرق في أرضيّة الناس التواصليّة حول قضيّتهم، وهذا من قوانين التداوليّة المعهودة، " سينتظر أولئك الذين يودّون الحصول على الأرضيّة عادة محلًّا محتملًا لانتقال الصلة قبل المشاركة. وبالطبع، سيحاول أولئك الذين يحتفظون بالأرضيّة في جوّ تنافسيّ تجنّب إعطاء مجال انتقال الصلة." (يول، 2010: 116) الأمر إذن محكوم بالتوازن، أن يوازن المبدع بين رأيه، ورسالته، أو طموحاته التي يحاول إرساءها، بحسبانه من ذوي الرأي، بشخصيّته المستفزة نحو ما تروّمه، وما تسعى إلى إنتاجه من تغيير يحاكي المبدأ الذي تتّخذه في فنّها، ثمّ بين الواقع الذي تفرضه الأجواء السياسيّة، ومراكز القوى الطاغية على المجتمع، وهو حكمًا ما يؤثّر في طبيعة التلقّي، من ناحيته المجرّدة، وبالتالي يثقل جوّ أريحيّة التلقّي. يشعر المبدع، عندئذ، بنوع من التنازع أو القيد التداوليّ، تداوليّة مدوّنته من جهة، أي مرسلته، وتداوليّة الواقع، ثم تنازع المتلقّي بين تداوليّتين.

في خضمّ هذا النزاع، تشرع لغة متجدّدة، بأشكال مختلفة، تسعى إلى اللعب بين هاتين التداوليّتيْن، ذلك لأنّ استعماليّة اللغة محكومة بالتجدّد، بحسب متطلّبات العصر من جهة، وكي تجد متنفَّسًا أو منفذًا من جهة أخرى، تعبر بموجبه نحو المتلقّين، فيرخون عن كاهلهم ثقل المرحلة الصعبة، أو القيد المجتمعيّ– التداوليّ العامّ، ويُتَرجمون ما في نفوسهم بحسب مرمى الباثّ، وما يحتويه من قيم قد فقدت تطبيقها، واقعيًّا، ولكنّها مطبّقة في رغبة المتلقّين الذين يتلمّسون حضورها، ويبحثون عنها، "تتّخذ الأساليب التداوليّة المعاصرة أشكالًا عدّة من صور الخطاب، وتمنح نفسها سمة التحوّل الشكليّ الدلاليّ في اللغة الواحدة، تبعًا لمقتضيات المرحلة اللغويّة لمستخدمي المفردات على صعيد التداوُل الداخليّ، أو التلقّي الخارجيّ." (البستاني، 2012: 135) هذه المرونة التي سمحت بها التداوليّة شكّلت معبرًا سلسًا لمعالجة البينيّة. ومعروف أنّ الخطاب الذي لا يرعي المتغيّرات الاجتماعيّة سيدور في حلقة مفرغة، أو مهشّمة، من حيث مداراته التواصليّة الطبيعيّة، أو قنواته.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لعلّ في هذا الكلام ما ييسّر مدخلنا إلى ناجي العلي، وخصوصيّته في خطابه المرسوم، أو الخطاب الموازي خلف الكاريكاتور الشعبيّ، أنّ في التداوليّة وأصولها الخطابيّة ما يشفع للدرس اللسانيّ كي يغدو اجتماعيًّا، بالأخصّ إذا ما تيسّرت له وسيلة لتطرحه بتداول واسع بين المتلقّين، وهذا ما أُتيح لناجي العلي، إذ إنّ الرجل كان ينشر أعماله من خلال الجرائد المتعدّدة، بين لبنان، والكويت، ولاحقًا بريطانيا... هذه المسائل تشكّل حافزًا للتغيّر الاجتماعيّ، وإيجاد بؤر دقيقة، ومحدّدة، في طبعها للنقد، وإن كان الخطاب بالوسيلة الفنّيّة التي برع فيها "ناجي العلي"، فكانت خطابه الموازي إلى الناس.

عرف الخطاب الاجتماعيّ أكثر من عالم أسهموا في دفع عجلته قِدَمًا. ونظرًا إلى ضيق المقام البحثيّ، من الممكن أن نعبر إلى التحليل باستعراض أحد الأعلام المؤثّرين، الذين أولوا اهتمامًا خاصًّا بالخطاب من زاويته الاجتماعيّة، وكيفيّة تفاعل اللغة، بين طرفي الإرسال، لإعادة إنتاجه، فيصبح ملامسًا القضايا الداهمة، ولكن بأسلوب متجدّد... نتحدّث عن اللسانيّ "نورمان فيركلوف *Norman Fairclough* " ، وهو الذي أسهم في تطوير أشكال الخطاب، ليضمّنه أشكال التواصل كافّة، وأنّه لا مانع، من حيث المبدأ، وطبيعة الخطاب أصلًا، أن يرد التواصل بلغة ترميزيّة، أي ما يسهم بخطاب الأيديولوجيّات؛ "الخطاب بنّاءٌ اجتماعيًّا، إذ إنّه يشكّل الذوات الاجتماعيّة، والعلاقات الاجتماعيّة، ونظم المعرفة والعقيدة. كما إنّ دراسة الخطاب تركّز على آثاره الأيديولوجيّة البنّاءة." (فاركلوف، 2015: 54)، وهذا ما قد عمد إليه "ناجي العلي" بقلمه ورسوماته، فقد واظب على محاولة إيقاظ الوعي، وتغيير حالة الجمود، وكان صريحًا إلى أقصى حدّ، فتبنّت الجماهير آرائه، ووعتها بما يتأطّر بالإطار التفاعليّ.

لا ننسى أنّ فكرة الوعي تحتاج إلى التعاكسات، أو وضعيّات تقابليّة تنشأ بين مستويَيْن: مستوى السلطة، وما هو سائد في الأدبيّات الواقعيّة، بالنسبة إلى الخطاب السياسيّ الرسميّ. ومستوى الإبداع؛ ولكنّه ليس مشروطًا، على الدوام، بأن يقابل السلطة، أو يقارعها، على أنّ أبرز أشكاله التي تنمو، وتتحرّك، وتكون على نحو من التأثير، لهي المعارضة للأجواء السائدة، أو الثابتة. "قد يحدث صراع واختلاف بين مصالح الجماعات التي تشكّل هذه السلطة وكذلك أيديولوجيّتها، وتتمتّع كلّ مجموعة سلطة بالسيطرة المباشرة وغير المباشرة على الإنتاج الرمزيّ، فضلًا عن استراتيجيّاتها الخاصّة لصناعة الرأي." (فان دايك، 2014: 94) ما يعني أنّ للمبدع رصيدًا أيديولوجيًّا– سلطويًّا، في مقاربة الآراء، وهذا ما يبعث على سلطة رديفة، قد تكون سلطة موقف، وليس لها ثقل قرارات السلطة الفعليّة، ولكن لموقفها هيمنة، قد تروي غليل المتلقّين، بعدما فقدوا أملهم في السلطة الموازية.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وعلى جميع الأحوال، يمكننا استنباط إجراءات تطبيقيّة، توخيًا لمزيد من الدقّة إبّان معالجة ما انتخبناه من رسومات، على أنّ الأصل يكمن في البحث عن الهوامش الاتّصاليّة في الموضوع، وكيفيّة تشكّل نواة التواصل الخطابيّة تداوليًّا، بين ناجي العلي وجمهوره. ومن الممكن أن تنحصر الخطوات على النحو الآتي (حيمر، 2009: 445):

الحقل الثقافيّ.

الرأسمال الثقافيّ.

الخطاب.

وعلى هذا النحو، يُتاح لنا المباشرة بالشقّ التطبيقيّ من البحث.

ثانيًا: الشقّ التطبيقيّ

في هذا الشقّ ثلاثة من المباحث التي نوظّف فيها إجراءات الخطاب التداوليّ، طبقًا لما لحظناه في القسم النظريّ؛ الحقل الثقافيّ، والرأسمال الثقافيّ، وصولًا إلى تكوّن الخطاب ووضعيّة المتلقّي إزاءه. ويقوم العمل على أساس انتقاء مجموعة من رسومات ناجي العلي، ثمّ مقاربتها بحسبان القيمة التداوليّة، وما تستخرجه من خطابات، أو توحي به إيماءً للمتلقّين، على أساس أنّ الصورة متحرّكة عندئذ، وحركتها مأخوذة من مبدأيْن: مبدأ الوفاء للواقع، أي إنّ الترسيمة وردت بنت لحظتها، وتصوّر الواقع بدقّة، ومبدأ بثّ الأثر في المتلقّين، لتحريك اللغة الخطابيّة الموازيّة، وخلق ساحة النقاش مع الرسمة. على أنّ النقد، أو الاعتراض، أو مخالفة الواقع المُصَوَّر، من أبرز معالم هذا المبدأ الثاني.

حريّ بالذكر أنّنا انتخبنا الترسيمات (العلي، 1992) بصورة عشوائيّة، أي من دون تحديدها، أو تضييقها في إطار زمكانيّ معيّن، وذلك لأنّ الغرض ليس سياسيًّا، أو عقائديًّا... بل الغرض لغويّ لتحليل التداوليّة الخطابيّة الواردة في هذه الترسيمات ، ومحاولة إيجاد صلة الوصل بين الخطاب، ورأسماله الثقافيّ، وحقله التداوليّ. وقد ينبثق سؤالًا حيال هذه القضيّة: إلى أيّ مدى يشكّل الخطاب العربيّ، بناء على ترسيمات العلي، دافع ربط بين الرأسمال والحقل الثقافيّين العربيّ، بحكم المتلقّين؟ لعلّ الأجزاء التطبيقيّة تقدّم إجابة حيال هذا الموضوع، وتفضي إلى نتائج نلحظها بعد البحث.

1. المبحث الأوّل: الحقل الثقافيّ: تداوليّة شعارات ناجي العلي: بين الفعل اللغويّ وإنجازه.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لقد حمل ناجي العلي قضيّته وصمّم على بلورتها في أعماله وإنتاجه الفنّيّ، وهذا ما يتبيّن بوضوح في طبيعة الموضوعات التي قام بنقلها في قوالبه الترسيميّة. وهكذا انصهرت أعماله وترسيماته في محور صوريّ واحد، فناجي العلي ريشة وقلم وترسيمات، وترسيمات ناجي وريشته وقلمه هم باجتماعهم يشكّلونه، فيتكوّن الرجل بموقفه المتمثّل في رسوماته؛ "لقد كان ناجي العلي رمزًا للمناضل الذي لا يساوم ولا ينكّس راية المقاومة، مهما عظمت الخطوب، ظلّ حاملًا مشعله بينما انطفأت مشاعرل الانتهازيّين، ونكّس الكثيرون أعلامهم..." (مجموعة مؤلّفين، 2001: 4). وعلى هذا النسق أعدّت شخصيّة ناجي العلي صلة الوصل الثقافيّة بين أعماله وجمهوره، وبذلك ارتقى فعله اللغويّ، من وجهة تداوليّة، إلى مستوى الإنجازيّة.

هذه بعض من العيّنات التي أنتجها ناجي العلي مع ملامح ميسّرة من تحليلها التداوليّ.

التداوليّة علم يقوم على دراسة النواة التواصليّة بين مجموعة من المترصّدين اللغويّين، ويقوم الفعل اللغويّ على بثّ المُعطى الأوّليّ أو الحالة القضويّة العامّة، ومن يتأمّل في الرسم يلحظ أنّ ناجي العلي قد قدّم صورة تُحَرّم أو تُجَرّم وتعيب على الناس انتقاد النظام أو حتّى مساءلته (من راقب) ثمّ (مات)، ومن بعد ذلك يعمد إلى مصطلح (الهمّ). هذه أفعال لغويّة قد تحمل بين دفّتَيْها مفعولَيْن أو ملفوظَيْن إنجازيّيْن اثنيْن: الأوّل قد يكون تحذيريًّا للناس: احذروا السلطة الحاكمة فهي عدوّة الديمقراطيّة، وهي من

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

تراقبكم لتبطش بكم. وقد يكون الملفوظ الإنجازيّ الآخر قائمًا على أساس محاربة هذا الوضع، وما ينمّ عن هذا الموقف هو حالة حنظلة البائسة وهو يقف مذهولًا أمام اليافطة أو الشعار العريض، وكأنّه يتمرّد على هذه الحالة من خلال يأسه أو تشتّته وفقره، ويبدو فعله تجييشيًّا، أنّ الناس هي التي تراقب، ولا بدّ أن يتغيّر هذا الشعار من الآن وصاعدًا ولا بدّ من الوصول إلى برّ الأمان وإعادة بثّ الوعي الثوريّ؛ وأنّ للناس على أنظمتها حقًّا وليس العكس.

صورة أخرى من صور بثّ الوعي الثوريّ، وتقوم التداوليّة هنا على براجماتيّة تواصليّة تؤسّس إلى فعل لغويّ يحتمل معاني التسويف والمماطلة والتغييب، وهذه من إشاريّات محو الفهم وإبطال العقل عبر التخدير، كأن يقول طبيب لمريض يائس: خذ هذه الإبرة أو هذا العقار، ويرغمه الأمر فيستسلم ويطيع من دون ردّة فعل، وهذه الحالة الاستكانيّة تكشفها دارة التواصل التي قامت على حرف الأمور والمسائل الثوريّة بصيغة المغالطات، وتدرّجت من التخدير نحو الاختفاء، وعندئذ يُنجَز الفعل اللغويّ أنّ القيّمين قد كانوا مثل اللأطبّاء المخادعين أو الغشّاشين الذين يرومون إبادة شعوبهم والإطاحة بقضاياهم على

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

الإطلاق، ومن هذا المنطلق يُلقى الفعل اللغويّ المنوط بالإجراء الخفيّ (باسم القضيّة)، ثم يكون الإنجاز (موت القضيّة باسم خدمتها)...

2 .المبحث الثاني: الرأسمال الثقافيّ: آليّات الخطاب الفنّي للشعارات وأثره في المتلقّي.

يتكوّن الرأسمال الثقافيّ من مجموعة إشارات تعمد إلى زرع أثقال معرفيّة، ولبِنات تفيض من اللغة إلى مستوى المعرفة الحضاريّة، أو الواقع، ولكن ما يميز هذا الرأسمال الثقافيّ أنّه يأتي على شكل خطاب فنّي، وهو ما يضاعف ترسيخه في أذهان المتلقّين، وبالتالي يحوز أثرًا في المتلقّي، وتتضاهى الثقافة مع الرموز الفنّيّة الرفيعة، وهذا ما أجاده ناجي العلي إبّان ابتكاره ترسيماته؛ " وبذلك تكون الدلالات التي تثيرها اللغة هدفًا مركزيًّا من حضورها في النصّ الأدبيّ وخلق تأثيرها في المتلقّي. لكن تلك الدلالات ترتبط أصلًا بالرموز التي تدلّ عليها. تلك الدلالات، المتكوّنة من التراكم النوعيّ للإشارات، حاملة الرموز، خالقة الأزمة، والتي تبحث في الوقت نفسه عن حل لها." (عاتي، 2015: 8) في هذا المبحث محاولة لإثبات القيمة التأثيريّة للخطاب الفنّي من خلال الرسومات وأثره في إعادة تشكيل الوعي الثوريّ للمتلقّي. وهو ما يمكن أن يُبنى على التدرّج التحليليّ الآتي:

1-مراعاة الشكل الإيحائيّ.

2-الغوص في مضامين الشكل ورموزه الخطابيّة والتداوليّة.

3-توليد الفعل القضويّ من وحي الصورة والأثر في المتلقّي.

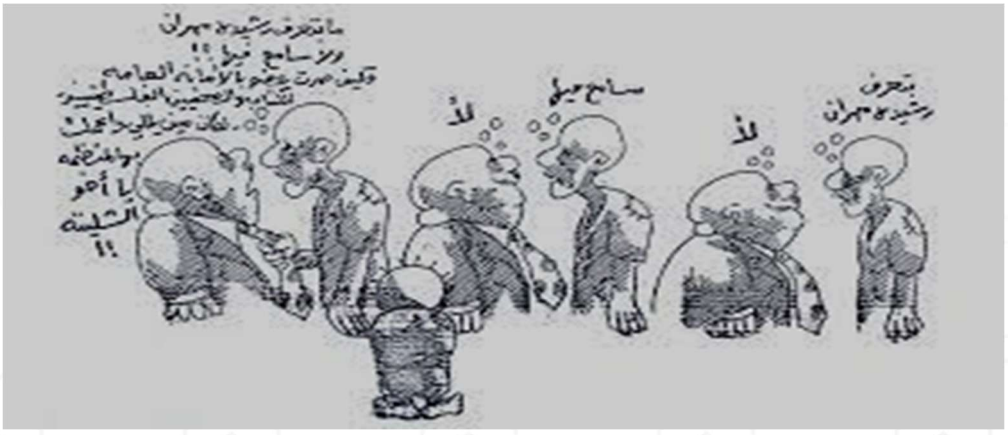

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يستثمر هذا الشعار آليّة مهمّة من آليّات الخطاب اللغويّ، وهي آليّة الحوار، وفي هذا الحوار يبدو ناجي العلي مسائلًا أحد المسؤولين، فنواة الحوار ابتدأت من أحد عناصر الشعب، وهو شخص تبدو عليه أمارات اليأس والبؤس والفقر... وبصورته هذه يسأل عن مناضلة قد أثارت جدلًا سياسيًّا في حينه (رشيدة مهران)، وقد كان الخطاب يحمل إشاريّة معنويّة بالدهشة، ولاسيّما بعد إنكار المسؤول إيّاها، ومن جانب آخر فإنّ جذوة النقد قد ارتفعت في المستوى الثاني، على الأقل العلم بأمرها، وقد تضاعفت إنكاريّة المسؤول، وهذا ما هيّأ الجوّ الخطابيّ إلى كشف الخديعة المحتمَلَة، فالحوار بين المرسِل والمتلقّي لم يكن سويًّا، وبالتالي فإنّ التأويل سيصعد نحو السلبيّة المطلقة، وكان بنتيجته أن استشاط الشعب غاضبًا، وقام بإلقاء اللوم والنقد، بل النقض: كيف تكون مسؤولًا ولا تعرفها؟ وقد اجتذب الخطاب مستوى ثوريّ يبدو بالقيمة الحجاجيّة: (المسؤول الذي لا يعرف النضال)، ثمّ تعاظمت هذه الكتلة من خلال معجم الشتم والسباب (أخو الشليتة)، وهي من الشتائم المتداولة، لحظة الغضب، وتُقال في حقّ الكذّاب عمومًا ولها معان خطابيّة أخرى... وهذا أثر في المتلقّي الذي يسعى ناجي إلى اجتذابه كي يعارض ويثور ويتحرّر من دجل أنظمته الحاكمة وديكتاتوريّتها.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

هذه مرحلة من مراحل الخطاب التعبيريّ الذي أنجز من خلاله ناجي العلي تصريحيّات أو بوحيّات فيها قيمة (الذاتيّة في اللغة الخطابيّة)، ومعروفة هذه الذاتيّة إذ إنّها تكون مترافقة والآخر اللغويّ، ولا قيمة لها من دون هذا الآخر، وحتى إن كان هذا الآخر هو ذاتها، أي (المونولوج) الداخليّ، ويقوم هذا الخطاب على شرب الخمرة من خلال قوارير الجعة الموجودة في مقهى شعبيّ... واللافت أنّ الخطاب الأوّل كان بغرض إهدار العقل وتوقيف التفكير على قاعدة: أنّ الشعب بات مرهقًا، حتّى بتفكيره وعقله، إزاء تلاشي الثورة، وهذه حمولات دلاليّة تحمل تأويلات الانزعاج والامتعاض والألم الذي يحاول المرء أن يخدّره بآلة السكر أو شرب الخمر، ومقابل هذا المستوى يتمظهر خطاب مواز آخر، وهو خطاب النقد الثوريّ، وهنا تُبَثُّ في المتلقّي معاني الوعي الثوريّ، هذا الوعي الذي أزاح دلالة أو رمزيّة شرب الخمر لإهدار العقل، بل طالب أن تكون كأسًا مرّة تُشرَب على غضب وتنتقد حالة الانقسام الفلسطينيّ في البيت الداخليّ الواحد، وهكذا تتناقض بلاغة العدد: بين الواحد الذي يتحوّل إلى اثنين من أجل البله والنسيان ليس إلا، وبين الخمسة عشرة أن تتحوّل إلى واحد، وهنا قمّة الوعي الثوريّ ومحاولة التحوّل نحو الثورة الصحيحة على قاعدة الديمقراطيّة، والتمرّد على الشتات، والالتئام من خلال التحرّر السياسيّ، والوصول إلى الوعي المنشود.

وهذا ما ينضّج فكرة العنصر الثقافيّ المؤثّر في الجماهير المتلقّية، إذ يعتمد ناجي العلي على إحياء القضايا بحسبانها أجزاء من جمهوره، وعلى هذا الجزء أن يبقى متألّمًا حتى يجد ضالّته وسكينته الحقيقيّة، في حراك يؤدّي إلى حلّ عكس السائد.

3 .المبحث الثالث: الخطاب: الهوّة بين الموقف التداوليّ والتفاعلات الشعبيّة.

لقد بدا ناجي العلي في ترسيماته ساخطًا على مختلف المواقف من حوله، وهو كان المعارض الأوّل والأخير، وقد دفع حياته ثمنًا لمعارضته هذه، ولطالما تبيّن هذا الأمر في خضمّ ترسيماته وفحواها وأعماقها، فقد تغلغلت الأسطر وتشابكت الدوائر والألوان الشاحبة لتعبّر عن هوّة سحيقة وكبيرة بين أمريْن: الوجه الرسميّ للسلطة والمسؤولين، خطاب النخبة التي تدّعي الكلام باسم الشعب. ووجه الشعب الشاحب المسكين، إذ أحسّ ناجي أنّ الوجه الأوّل غير مطابق، بتاتا، للوجه الثاني، وأنّه لا يعبّر عن توجّهات هذا الرأي العام، على الإطلاق. وهذا ما دفعه إلى تبنّي سياسة نقديّة تكون قريبة من لسان الطبقات الشعبيّة، ومستواها التداوليّ اللغويّ، دونًا عن المواقف الرسميّة التداوليّة، حيث لا حقيقة شعبيّة فيها. وبذلك عدّل ناجي، من خلال فنّه وترسيماته، نمطيّة النقد القديم، فكان أكثر رمزيّة، وأقلّ صراحة، ولكنّه أنتج الحقيقة أمام الشعوب، أو كشفها، أو أعاد إظهارها من ألسنتهم على الورقة الكاريكاتوريّة،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وهذا فيه حوار عميق بين الذات والآخر، وهذه فلسفة من أبرز توجّهات أرباب النقد الحديث؛ "إنّه على الرغم من أنّ عمليّة الفصل بين الذات والآخر كانت جوهريّة بالنسبة للبقاء في وقت من الأوقات، فإنّها يمكن أن تكون أقل أهمّيّة الآن، وربّما تكون بحاجة لاتّخاذ أشكال مختلفة في عصرنا التفاعليّ، المتضامن... " (حسن، 2018: 41). وهذه عيّنات نحلّل فيها تحليلًا خطابيًّا تداوليًّا شكل الهوّة، وواقعها التفسيريّ الخطابيّ، من خلال ترسيمات ناجي العلي:

يتّخذ شكل الهوّة بين القطبيْن التواصليّيْن، في كثير من الأحيان، أعرافًا باتت بديهيّة بين الناس، أو الطبقات الشعبيّة، وذلك على الرغم من أنّهم غير معنيّين بهذا المصطلح، ولكنّ الهوّة المعرفيّة، وحجم التسلل الحاصل بين المفاهيم، نظرًا إلى حالة القطيعة الإخباريّة – اللغويّة بين محور الفوق (السلطة)، والتحت (الشعوب)، ومن هذا كان اختيارنا لكاتم الصوت تجسيدًا لهذه الهوّة.

وكاتم الصوت من العبارات التي راجت في المجتمع العربيّ، لتدلّ على إسكات الصوت الشعبيّ بقوّة السلاح المخصّص للاغتيالات، وعليه، يكون ناجي العلي قد دخل في قضيّة الهوّة القاتلة، والخطاب

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

قد انقطع، وفي قطيعته إزهاق لأرواح تريد التعبير. والتداوليّة بأفعالها اللغويّة أصبحت أطغى، أو أغلب بالنسبة إلى الكتمان والتقية والورع، وعدم الإجهار، وإخفاء الرأي أو المذهب أو اللون السياسيّ... وإلّا ستكون النتيجة هي التصفية بالمسدس المكتوم صوته. في هذا الخطاب إثبات تداوليّ لشيء من قوّة السلطة الخفيّة، وقهر، أو ظلم الجماهير الصارخة. وقد نمّت الترسيمة، بوضوح وتجلّ، عن حالة الصرخة الثوريّة التي أسكتتها رصاصة، إذ هَمّ (حنظلة) لحمل الرجل الميت، ليستمرّ صوته ضدّ كاتم الصوت، وكاتم الصوت هو القمعيّ الذي لا يريد أن يجسّد صوت الشعوب في صوته، وهو المسؤول عن هذا الصوت، وهو الذي يمنع صوت الشعب من البروز للقول المضاد أو المعاكس الرافض لقسوة المرحلة وظلمها، وهو أيضًا الذي يشارك في أعمال الاغتيال السياسيّ. وهذه أولى العيّنات عن الهوّة بين الخطاب المتداول والفئات الشعبيّة. ترسيمة أخرى لا تقلّ أهمّيّة عن الترسيمة التي عالجناها توًّا، وهي كالآتي:

من جديد يقارب ناجي العلي المسألة بشكل واقعيّ، وبمزيد من توسعة الهوّة الحاصلة بين المستويْن الرسميّ والشعبيّ، تأتي هذه الرسمة بحسبانها تسليطًا على واقع مرير متداول في يوميّات الأمّة، ويتلقّفه الإنسان العربيّ خطابًا واضحًا صريحًا. فمن التناقض الشديد في الواقع حجم الفصام أو القطيعة بين الناس، أنّ التجمّع أتى بغرض التضامن مع أطفال يعانون الجوع والمجاعة، ولكنّه تضامن معهم بأنّه

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أكثر من الطعام، فأكل عنهم دونًا منهم، ولعلّ هذا شيء غريب ومستهجن، ولكنّه يحصل، وهو ما أراع ناجي العلي، وقد كدّس ألوان المأكل والمشرب والفاكهة، أي ما لذّ وطاب، على نيّة تضامنه مع من يتضوّر جوعًا في فلسطين، ليغدو التناقض، وتتوضّح الهوّة بين أصحاب المسؤوليّة وجماهيرهم من خلال الملحوظات الآتية:

أوّلًا: غياب الشعب تمامًا عن الصورة، وهم الذين اجتمعوا على اسمه.

ثانيًا: ضرب رمز الاحتفال ولغته، والتفوّه بكلام فيه قطيعة تداوليّة، بين كلامهم والواقع.

ثالثًا: من غير المتناسب، في التواصل الخطابيّ، أن يكون اللقاء مدعاة للثمالة والسكر، والمناسبة حزينة، فالناس تموت من الجوع.

هذه النقاط وغيرها تثبت حجم الهوّة المفاهيميّة واللغويّة، والقطيعة الخطابيّة، وكذلك الثغرة التداوليّة التي واظب ناجي العلي على لحْظِها، وحفّز على مناهضتها، كان ضدّ كتم الأصوات، حتّى اغتيل بكاتم الصوت.

خلاصة واستنتاجات.

إنّ ناجي العلي أيقونة ثوريّة مهمّة وملهمة، وقد نجح في حيازة الموقف التداوليّ وقام باستصداره لسانيًّا ضمن خطاب لغويّ مشفّر يطمح إلى فضح الخطأ والثورة والتمرّد على الظلم، ومن ثَمّ تعديل المسار نحو مدوّنة هادفة لإرقاء الشعب وإخراجه من حالته الارتهانيّة والانقياديّة، من أجل إحياء القضيّة، وإعادة توجيه البوصلة من خلال اللغة الثوريّة الحقيقيّة أو السليمة، بعيدًا من كذب الشعارات، واقترابًا من حقيقة الرسومات وحقّ هذا الشعب الفلسطينيّ بالوحدة، والديمقراطيّة، والوطن، والحلّ العادل للقضيّة.

وفي الآتي أبرز استنتاجات البحث ننقلها على هذا النحو:

- لا مانع من نقل التداوليّة وتحليلها في قوالب إنسانيّة، فالمهمّ العمل الهادف، أي الذي يحظى بالعمل الإنسانيّ والقيمة الاجتماعيّة التواصليّة، وبغض النظر عن شكل هذا التواصل، ليس حتميًّا ان يكون بلغة الأحرف والكلمات.
- لقد أثبت ناجي العلي، برسوماته، تداوليّته، فالرجل حامل لرسالة اصيلة في فنّه، ويسعى إلى جعلها نواة تواصليّة مع جمهوره، واللافت أنّ جمهوره كان من السواد الأعظم، أي الشعوب.

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

- خطاب ناجي العلي يحتمل مقامات فعليّة تداوليّة، وهو أدرك هذا الأمر جيّدًا، فكان ذو أثر عميق في المتلقّي، فسلّمه شرعيّة أن يخاطب باسمه، وأصبح رسّام الناس والشعب، والرأي العام، في وقت اختفى فيه هذا الصوت عن أجهزة السلطة.

المصادر

[1] البستاني بشرى ، التداوليّة في البحث اللغويّ والنقديّ، مؤسّسة السيّاب للطباعة والنشر، لندن، 2102.

[2] حسن إيهاب ، تحوّلات الخطاب النقديّ لما بعد الحداثة، ترجمة: السيد إمام، دار شهريار، العراق، 2018.

[3] حيمر عبد السلام ، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، 2009.

[4] عاتي حسن ، الرمز في الخطاب الأدبيّ، دار الروسم للتوزيع، العراق، 2015.

[5] العلي ناجي ، رسومات ناجي العلي، تجميع: دار السفير. 1992.

[6] فاركلوف نورمان ، الخطاب والتغيّر الاجتماعيّ، ترجمة: محمد عناني، المركز القوميّ للترجمة، مصر، 2015.

[7] فان دايك توين ، الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، مصر، 2014.

[8] الماشطة مجيد ، مسرد التداوليّة، دار الرضوان، ط1، عمان، 2018.

[9] مجموعة مؤلّفين، مع الانتفاضة (ناجي العلي)، مركز الدراسات الاشتراكيّة، بيروت، 2001.

[10] يول جورج ، التداوليّة، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.